Tome, année No 940

بدل الاشتراك عن سنة
مصر
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Le Caire 9 — 7 — 1951

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٤٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٥ شوال سنة ١٣٧٠ — ٩ يوليه سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

كشف أدبى مهم :

ترجمتان لقصة « المعراج »

إحداهما لاتينية والأخرى فرنسية

المستشرق الايطالى أمبرتو ريزيتانو
الأستاذ بجامعة فؤاد الأول

من المعروف أن دانتى الجيبرى شاعر إيطاليا العظيم الذى عاش فيما بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر — قد وضع ملحمة فذة هى « الكوميديا الإلهية » التى تعتبر أنضج ثمار الآداب الإيطالية ، ولعلها أسمى تحفة فنية ظهرت حتى الآن. وقد ترجمت الكوميديا الإلهية إلى جميع لغات العالم ، كما نقلت نثرا إلى اللغة العربية ، أو بالأحرى لخصت فى هذه الترجمة العربية رحلة دانتى إلى الجحيم والأعراف والجنة

وكثيرا ما نقب العلماء والباحثون أثناء القرن الماضى عن المصادر التى استقى منها دانتى فكرته فى وضع الكوميديا. وطالما تساءل المهتمون بالدراسات الخاصة بالشاعر الإيطالى ومعاصريه من الكتاب عما إذا كانت فكرة دانتى فى ملحمته مبتكرة أو مقتبسة . ولقد مضت على ذلك سنوات دون أن يتقدم هذا البحث تقدما مرضيا ، ودون أن يتعدى الأمر مرحلة الترجيح . وذلك لأن الباحثين لم يكن فى استطاعتهم أن يحصلوا على البراهين القاطعة فى هذا الموضوع . أما فى أوائل القرن العشرين فقد تطورت الأبحاث الخاصة بالمصادر التى استقى منها دانتى فكرته، وتمت بفضل مجهودات المستشرق الأسبانى آسين بلاثيوس الذى أخرج إلى الناس فى سنة ١٩١٩ بحثا قيما عنوانه : —

La escatologia musulmana en la Divina Comedia

أى « العقيدة الإسلامية فى الكوميديا الإلهية » فلما ظهر هذا البحث كان له وقع عظيم فى نفوس المهتمين بالدراسات الدانتية ، ولا سيما أولئك الذين لا يشكون فى أصالة فكرة الشاعر الإيطالى . ولقد امتاز بلاثيوس فى هذا المؤلف بدقة التحليل والتمايل على عادته فى كل ما بحثه وكتبه أثناء حياته من البحوث العلمية الخاصة بالاستشراق . وكان بلاثيوس يعتمد فى بحثه هذا على تبحره فى دراسة الفلسفة العربية والعقيدة الإسلامية ، وبصفة خاصة على إلمامه الوافى بكل ما يخص النشاط العلمى والثقافى فى بلاد الأندلس فى الوقت الذى التقى فيه الشرق الإسلامى والغرب المسيحى التقاء أدى إلى ازدهار رائع فى الآداب والفنون والعلوم

هذا وقد أشار بلاثيوس فى مؤلفه إلى ما بين الكوميديا الإلهية والعقيدة الإسلامية الخاصة بالبعث والقيامة وخلود النفس من تشابه وتقارب، كما أشار إلى كل ما فى الكوميديا الإلهية من صلة بالحديث المعروف عن قصة « المعراج »

أشار بلاثيوس إلى هذا كله إشارة وافية. ومن فرط افتتانه بالموضوع الذى استهواه وتملكه نسب إلهام دانتى فى وضع منظومته الخالدة إلى الفكر الصوفى ابن عربى الأندلسى الذى عاش فى القرن الثالث عشر . وسرعان ما استفاض الحديث عن هذا البحث واتجهت إليه أنظار المهتمين بالموضوع الذين انقسموا كما هى العادة فى مثل هذه الظروف إلى فريقين : فريق أيد نظرية بلاثيوس وفريق عارضها ، وظل الفريق المعارض غير مقتنع

باستنتاج الباحث الأسباني القدير على دقتها ولا موافق على آرائه بالرغم من دلالتها على علمه المتين وثقافته الرصينة . والواقع أن بحث بلاثيوس كان يضعفه عدم الإشارة إلى السبل التي وصلت منها الأفكار الإسلامية إلى دانتي ، وذلك لانقطاع الصلة المباشرة بينه وبينها ، وكان الأولى أن يشير بلاثيوس إلى تلك النصوص الإسلامية الأصلية أو الترجمة التي لابد أن يكون دانتي قد اطلع عليها قبل وضع منظومته إذا صح أنه استلهمها من العالم العربي الإسلامي كما أكد بلاثيوس . وبعد معركة حامية بين الفريقين المؤيدين والمعارضين لكثرة ما أثاره هذا البحث من اختلاف الآراء وافتراق الأهواء ؛ خيم السكون على هذا الموضوع مدة من الزمن دون أن يصل الفريقان إلى تسوية ما بينهما من اختلاف ، ودون أن يقتنع فريق برأي الفريق الآخر

ظلت الأمور على هذه الحال حتى نشر المستشرق الإيطالي مونيري دي فيبار في عام ١٩٤٤ مؤلفا هاما عن دراسة الإسلام في أوروبا أثناء القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، ولفت واضعه أنظار الباحثين إلى مخطوطين : أولهما مكتوب باللغة الفرنسية ومودع بمكتبة أكسفورد ؛ والآخر مكتوب باللغة اللاتينية بملكة المكتبة الأهلية بباريس ، وكلاهما يشتمل على ترجمتين غريبتين لقصة المعراج كما رواها أهل الحديث . وافترض المستشرق الإيطالي إذ ذاك أن الترجمتين أصلهما واحد وجاء من بعده المستشرق الإيطالي تشيرولي ودرس المخطوطين وسرعان ما أثبت بطريقة لا تحتمل الشك صدق نظرية « مونيري » وقد نشر أخيرا هذين المخطوطين وأضاف إليهما كل ما استطاع إضافته من المقدمات والحواشي والتفسيرات لتوضح المسألة التي كانت موضع الخلاف

أما المخطوط المشتمل على الترجمة اللاتينية فعنوانه

Liber scalae Machometi

وأما المخطوط الفرنسي فعنوانه livre de l'Eschiele Mahomet

ومعناها « كتاب معراج محمد » وهو مؤلف مغفل لم يعرف واضعه الآن ، ترجم أولا من اللغة العربية إلى اللغة القشتالية (نسبة إلى قشتالة) من لغات أسبانيا ، وكان الذي قام بترجمته هو « إبراهيم المقيم اليهودي » الذي كان طبيبا ببلاط الملك الصالح الأسباني ، كما نقله فيما بعد من هذه اللغة إلى اللغتين المذكورتين آنفا الكاتب الإيطالي بونافنتورا داسيينا الذي كان سكرتيرا ببلاط الملك السالف الذكر في منتصف القرن الثالث عشر

وبالرغم من أن المترجم الإيطالي قد اعتمد في نقله إلى اللغتين اللاتينية والفرنسية على الترجمة القشتالية لا على النص الأصلي ؛ فإن كل ما في المخطوطين اللذين قام تشيرولي بنشرهما ، من المصطلحات والعبارات والتراكيب والأسلوب يدل دلالة قاطعة على أن النص الأصلي إنما هو نص عربي ، كما يدل أيضا على عروبته أسماء الأماكن وأسماء الأعلام وذكر الآيات القرآنية الكريمة الواردة فيهما . ولولا ذلك لما ذكر المترجم الإيطالي بونافنتورا داسيينا جملا عربية كاملة مكتوبة بالأحرف اللاتينية ؛ في إمكان القارئ الملم بلغة الضاد أن يعيدها إلى أصلها العربي بكل سهولة مهما طرأ عليها من التحريف . ولكن ماذا يا ترى يكون ذلك النص العربي المجهول ؟ ومتى ألف ؟ وأين ؟ ومن عساه أن يكون مؤلفه ؟

يمكننا بالرغم من عدم استطاعتنا الإجابة عن هذه الأسئلة كلها — أن نثبت على الأقل أن المصدر العربي الذي استقيت منه الترجمات الثلاث لابد أن يكون كتابا عربيا يشتمل على قصة المعراج كما كانت تروى في بلاد الأندلس في القرن الثالث عشر . وبمجرد أن تراءى إلى سمع الملك ألفونس المذكور وجود قصة طريفة من هذا النوع أمر بترجمتها حتى يستطيع علماء الغرب أن يطلعوا عليها

هذا وقد يتساءل الباحث عما إذا كانت ترجمة من هذه التراجم الثلاث كانت معروفة في إيطاليا أثناء القرون الوسطى ؟ والإجابة في هذه المرة لابد أن تكون بالإيجاب ؛ إذ ورد ذكر هذا الكتاب الخاص بقصة المعراج في مؤلفين من مؤلفات كاتبين إيطاليين ، عاش أحدهما في منتصف القرن الرابع عشر وعاش الآخر في أواخر القرن الخامس عشر ، وليس هذا إلا دليلا على انتشار المعلومات عن العقائد الإسلامية وفلسفة العرب في بلاد أوروبا ولا سيما في إيطاليا في القرون الوسطى . هذا ولم يقتصر المستشرق تشيرولي على نشر الترجمتين الفرنسية واللاتينية ؛ وعلى ملخص الترجمة القشتالية فحسب ، بل أضاف إلى ذلك قسما آخر يبرهن على هذا الذيوع ، كما أضاف قسما ثالثا جمع فيه كل الشواهد التي تثبت هذا الانتشار ، وعلى رأسها حوار جرى بين النبي محمد (ص) وعبد الله بن سلام اليهودي ، ترجمه إلى اللاتينية أرمانو اللاطي سنة ١١٤١ — نقلا عن الكتاب المعروف باسم « رد الكلام في مسائل عبد الله بن سلام »

البقية على صفحة ٧٩٧